

الخطاب الروائي النسوي العربي

بين طروحات الفكر النسوي العالمي و الهوية الوطنية -

إنعام كجه جي- في الحفيدة الأمريكية و طشاري نموذجاً

تاريخ تقديم البحث: ١٢/١١/٢٠٢٤

تاريخ قبول البحث: ٨/١٢/٢٠٢٤

ملخص

مرّ الخطاب النسوي بمراحل عديدة من التطور التاريخي، فبعد أن كان يطالب بتحسين أوضاع المرأة وتحريرها من قيود فرضها المجتمع، أصبح في الفترة المعاصرة يقدم طروحات وفكراً جديداً ذلك مكن المرأة من المساهمة في شتى المجالات، فهذه الأخيرة دخلت إلى مختلف العوالم الفكرية والإبداعية، كما صار لها صوت مسموع وراحت تناضل بداية من أجل إثبات هويتها لتكمل ذلك مساهمة في شؤون وطنها و كل بطريقتها ففي الأعمال الأدبية عبّرت الكتابات النسوية - كما أطلقت عليها الناقدة العراقية نازك الأعرجي - على الوطن و أبدعت في ذلك و اتخذت الكتابة سلاحاً للتعبير عن هويتها وعن وطنيتها وعروبته.

لرصد ذلك اخترنا نصين سرديين للكاتبة العراقية إنعام كجه جي هما: الحفيدة الأمريكية و طشاري، وقع اختيارنا عليهما للزخم الكبير الذي تحمله هاتان الروايتان من مشاعر وإحساس بكل مآسي الوطن والانتفاء له رغم ذلك، حيث حاولت الكاتبة أن تعبر عن فضائل المجتمع بعيداً عن الفروقات التي فرضها الواقع المعيش.

خديجة بغدادادي (*)

كما استخدمت الخيال لتجعل منه وسيلة تخطيها أصوات المهمشين وأصوات عامة الشعب بعيداً عن أي انتفاء سياسي أو ديني بل عبرت عن ذلك من خلال شيء واحد هو الوطن الأم.

من خلال ما سبق يحاول بحثنا الإجابة عن مجموعة تساؤلات هي:

كيف قدمت الكتابات النسوية الروائية العربية موضوع الوعي بالهوية الوطنية؟

ما تجليات ذلك في النصين السريين لإنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية و طشاري؟

هل نجحت الكاتبة إنعام كجه جي في طرح موضوع الهوية وتعزيزها في النموذجين المختارين؟

الكلمات المفتاحية: الهوية الوطنية، الخطاب الروائي، الكتابة النسوية، إنعام كجه جي، الحفيدة الأمريكية، طشاري.

مقدمة

تنوعت النصوص الناتجة باختلاف البقعة الجغرافية التي تنتمي إليها الكاتبة فنصوص الكاتبة المصرية تختلف عن العراقية وكذلك بالنسبة لنظيرتها الجزائرية، حتى وإن اختلطت مرات ببعضها عندما يتعلق الأمر بالهوية الكبرى وهي القومية العربية ولو أنه في الفترة الأخيرة بدأت تتلاشى بنظر البعض خاصة في ظل الإعلام وما يحاول نشره للتظليل، لكن الأمر صعب فلا يمكن لقومية جمعها تاريخ كبير ومحن واحدة أن تتلاشى بهذه السهولة، كل هذا تطرقت له الكتابات النسوية لتطرحه بعاطفتها تارة وتارة أخرى بعقلها وفي أحيان كثيرة بأصوات لم تجد سميها لها.

لرصد ذلك اخترنا نموذجين للروائية العراقية: إنعام كجه جي هما: الحفيدة الأمريكية و طشاري. نسان سرديان يميلان الكثير من رموز البلد التاريخية والتراث العريق الذي يمجده الهوية العراقية، نحاول في مداخلتنا رصد ذلك باحثين عن مدى مساهمة الروائيتين في تعزيز الهوية الوطنية رغم المآسي الكثيرة التي مرت بها الدولة جعلت المهجرة في أحيان كثيرة الحل الأول للعديد من الأفراد.

١ - الهوية الوطنية في الخطاب الروائي العربي النسوي المعاصر:

الهوية من أهم المكونات الطبيعية الإنسانية لها عدة أبعاد فهي تطل «عدة مستويات وتشمل عدة مكونات أي أنها مفهوم واسع يشمل كافة النشاط البشري يندرج عبر عدة مستويات: الهوية البيولوجية والهوية الاجتماعية والهوية الثقافية^(١)،

تغير التفكير الفلسفي في عصر الحداثة وما بعدها وشمل التغير مختلف العلوم الإنسانية، وجد للمرأة تحت ظل الفكر المعاصر مكانة فبعد أن تجاوزت العديد من الفروقات بينها وبين الرجل، فالتعليم الذي نالته بالإضافة إلى دخولها مختلف الحقول الفكرية والمجالات العلمية جعلها ذلك تساهم في المعرفة الإنسانية وأصبح لها مكانة في الفكر الإنساني كل بطريقتها.

هناك من استخدمت القلم لتعبر عن ما يجوب بداخلها وكل ما يحيط بها مثلما هو حال كاتبات عربيات، أخذن القلم وسيلة لبحثن في بداية الأمر عن هويتهم وسط عالم بداية كان حكرا على الرجال فبحثن في مواضيع تخصهن فعملن على كشف الواقع الذي تعيشه المرأة العربية فالروائيات طرحن مواضيع عدة كموضوع تعليم المرأة وكل ما له علاقة بحقوق المرأة وهذا ما انتهجته الكاتبة المصرية نوال السعداوي مع أنها في آخر طروحاتها انزاحت عن ما بدأت به بل انجرفت مع آثار تمدد الفكر الغربي وتجاوز الخطاب النسوي العربي أفكار السعداوي، فالخروب في القطر العربي تجاوزت هذه القضايا وظهرت قضايا أهم بكثير من الحالات الفكرية الشاذة.

لتتجاوز الكاتبة العربية ذلك وتصل إلى مشاركة هويتها الكبرى وانتمائها الكبير إلى وطنها، لأنه كان الهم الأكبر خاصة في ظل استعمار كبير ومحاولات عديدة لطمس كل ما يعبر عن الهوية والانتفاء للوطن في عالمنا العربي الكبير.

ممزقة، سعى يحاول من أجل أن يعزز هويته رغم كل ذلك. ففي الخطاب الروائي كنموذج امتلاء بالنصوص التي تحمل مآسي المهجرين وأصوات المهشين، فالكتاب جعلوا لهذه الأحداث التي مسّت أوطانهم مصدرا ليخطوا سطورهم ووسيلة ليعبروا عن هويتهم في ظل انبثاق هويات جديدة تحت ظل نظام العولمة التي أدت إلى الاضطراب الحاصل نتيجة الاختلاط الكبير بين الشرق الغرب ومحاولة الاستعمار والإعلام طمس كل ما له علاقة بالهوية العربية، برزت نصوص سرديّة عبّرت عن كل هذا في محاولة من كتاب سعو في مرات عدة إلى إعادة إحياء للتاريخ وفي أحيان أخرى كتبوا باحثين عن هويتهم معبرين بيأس تجاه كل ما له علاقة بأوطانهم لكنهم مع ذلك تمسكوا بثقافتهم بكل ما تحمله من تراث وميزات تميزها عن غيرها.

كان للخطاب الروائي النسوي نصيب من كل هذا فالكاتبة العربية المعاصرة تمكنت من احتلال مكانة لا بأس بها فبعد أن تجاوزت الخطاب النسوي الغربي وأدركت أن الخطاب الذي ينشأ في بيئة ما قد لا يصلح في بيئة أخرى لذلك تجاوزت الكثير، حملت قلمها معبرة عن كل ما يدور في محيطها تارة ناقمة وتارة محاولة إيصال أصوات قُطع التواصل معها معبرة عن الصراعات التي نشبت تارة من عدو خارجي وتارة من بني الجلدة أنفسهم، أفراد جمعهم وطن واحد وفرقت بينهم الفتنة.

من بين الروائيات نجد الكاتبة الجزائرية أحلام مستغانمي* دائما ما كانت نصوصها

أقرّ مفكرو علم الاجتماع أنها شيء يكتسب من خلال مجموعة من الناس تعودوا على عقلية و عادات فاختموا بها وصارت تعبر عنهم ولهذا فالهوية «تنتج و يعاد إنتاجها من خلال التفاعل الاجتماعي»^(٢)، وقد اعتبرها البعض «خطابا أيديولوجيا يزدهر في فترات ومناطق معينة، ويقصد لتوظيف أو استثمار مسألة الهوية ضمن استراتيجيات سياسية متعددة داخليا وخارجيا»^(٣). هذا من وجهة نظر سوسيولوجية. يعرفها عبد العزيز بن عثمان " بأنها القدر الثابت والجوهر المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من غيرها من الحضارات"^(٤).

نعود إلى الهوية الوطنية في عالمنا العربي نجد لها معنى آخر واسع، فوطننا العربي الكبير وإن أصبحت الكلمة ثقيلة على اللسان فالوعي بها غدا أمرا صعبا تحت ظل التقسيمات والحدود السياسية التي فرضت، فالتمييز والتفرقة الحاصلة بين الشعوب العربية جعلت موضوع الهوية والقومية العربية أمرا ميوّسا منه ولا أفق له لكن يصعب طمس أن هناك حنين وثقافة مشتركة بين العراقي و بين نظيره الجزائري أو السوري أو الفلسطيني أو المغربي فعندما يتعلق الأمر بالمآسي التي مسّت هذه الأوطان تجد أن هناك مساندة بالقلب بين سكان هذه الأوطان بعيدا عن السياسة.

عانى العالم العربي جلّه من ويلات التهجير والاستعمار والفقر وسوء التسيير والحروب الأهلية، فوجد الفرد العربي نفسه في أوطان

اقتباس يوضح مدى صدمة مواطن جزائري كافح ليخرج استعماراً لمدة تفوق مئة سنة لينال استقلاله فيجد نفسه في دوامة ومناهة، فما إن بدأت البلاد في انتعاشها حتى صُدم الشعب ببداية الدم هذه المرة العدو ليس خارجي بل من نفس البقعة الجغرافية، وهي سنوات الدم ويقال عليها العشرية السوداء. شرحت الروائية وقع ذلك في نفوس الكثيرين ممن عاشوا الأحداث، صحيح أنهم شخصيات خيالية لكن يلامسون الواقع ويحاكونه. فشخصية البطل « خالد » يمثل النموذج الحي للإنسان المغترب الذي يعيش الوحدة المكانية والزمانية ويعاني من حالات شعورية اتجاه المجتمع الذي عزل عنه، ولكنه في الأخير يبقى مرتبطاً رغم الخلافات والصراعات في أعماق نفسه بهويته الجزائرية بثقافته وتاريخه وبإضيقه الذي عاد ليتشكل أمامه في صورة ابنة «السي الطاهر» التي ترمز للأرض والوطن والحنين والهوية^(٨)، وفي حقيقة الأمر مهما اختلفت درجات حب الإنسان لوطنه تبقى الهوية أمراً مؤكداً فالإنسان بدونها يبقى بلا أصل ينتمي إليه فيصبح وكأنه بلا معالم.

ننقل الحديث الآن إلى التجربة الروائية النسوية في دولة فلسطين هذه الأخيرة تعاني من الاحتلال الصهيوني، ومن منطلق ذلك فإن الكتابة النسوية الفلسطينية ستحمل مهمة الدفاع عن هويتها ووطنها تحت ظل استعمار غاشم يسعى لطمس واغتصاب كل ماله علاقة بفلسطين، وكنموذج نجد «الروائيتين سحر خليفة و نردين أبو نبعة، ودورهما الإبداعي في التعريف بالقضية الفلسطينية من منظور نسوي محلي يحاول تقديم بديلاً يتصدى

السردية تقدم جانباً من الهوية العربية والجزائرية تحديداً مثلما هو الحال في رواية ذاكرة الجسد حيث عبرت بطريقتها عن أوضاع سياسية مسّت البلاد فبشخصيات خيالية حاكت لنا من القصص الكثير، فعلى لسان خالد رجل جزائري مغترب طرحت الشوق والحنين للوطن:

(يا تفاحة.. يا تفاحة.. خبّريني وعلاش الناس والعة بيك..)

تستوقفني هذه الأغنية بسذاجتها.

تضعني وجها لوجه مع الوطن^(٥)

قدمت الروائية العديد من تفاصيل الهوية الجزائرية فالقارئ للرواية يجدها محملة بالكثير من التاريخ والأحداث والشخصيات، نستشهد باقتباسات من الرواية: « صباح الخير قسنطينة.. كيف أنت يا جبلي المعلق.. يا حزني المعلق منذ ربع قرن؟^(٦)، قسنطينة مدينة جزائرية عريقة تتميز بمعالمها التاريخية أيضاً هي مدينة الجسور المعلقة لقبّت بهذا الاسم حيث بها جسورا شهيرة معلقة على ارتفاع ٢٠٠ متر فوق وادي الرمال.

أيضا في نفس الرواية تناولت أحلام الثورة التحريرية وسنوات العشرية السوداء: «الوطن الذي أصبح سجنا لا عنوان معروفنا لزنزانتة، لا اسم رسميا لسجنه، لا تهمة واضحة لمساجينه[...] هل توقعت يوم كنت شابا بحماسة وعفوانه وتطرف أحلامه أنه سيأتي بعد ربع قرن، يوم عجيب كهذا مجردني فيه جزائري مثلي من ثيابه[...] أدخلها باسم الثورة هذه المرة[...] الثورة التي سبق أن جردتني من ذراعي^(٧)

«هذه الأخيرة ولدت في بغداد سنة ١٩٥٢ درست الصحافة في جامعة بغداد، انتقلت إلى فرنسا عام ١٩٧٩ لنيل درجة الدكتوراه، ترشحت مرتين لجائزة البوكر العربية (القائمة القصيرة) للروايتين «الحفيدة الأمريكية» و «طشاري»^(١١).

رواية «الفتاة الأمريكية» صدرت عن دار الجديد سنة ٢٠٠٩، تتكون الرواية من ١٩٠ صفحة.

رواية «طشاري» صدرت في ٢٠١٣ عن دار الجديد - بيروت. تتكون الرواية من ٢٥١ صفحة.

تجليات الهوية الوطنية العراقية في «الفتاة الأمريكية»

الرواية تقدم من وجهة نظر شابة بجنسية مزدوجة عراقية وأمريكية، تغادر العراق وهي طفلة لتعود لها كترجمة للجيش الأمريكي الذي كان وقتها احتل العراق، تأخذك الرواية بأحداثها إلى فترات مرت على العراق منذ بداية احتلاله من طرف الجيش الأمريكي، هذه الشخصية ما إن تصل إلى العراق بلدها الأم حتى تنمو بداخلها ذكريات تمر كشدات برأسها يجعل ذلك روحها تتساءل من جديد: إلى أي أرض أنتمي؟ ليصيبها التيه وتصبح مهمتها البحث عن ذاتها وعن انتائها.

توضح الرواية الكيفية التي يعيش بها الإنسان خارج وطنه سنينا طويلة لكن رغم ذلك يبقى يحمل قطعة منه في قلبه، نص سردي يبرز العلاقة بين الفرد ووطنه، نقلات تاريخية للعراق عرجت عليها الكاتبة.

للأدب الاستشراقي النسوي الغربي^(٩) فقد أنتجت الكاتبتان وغيرهما من الروائيات الفلسطينيات نصوصا سردية تعبر عن الهوية الفلسطينية وتحتفي بها كما هو حال نردين فقد وضحت العديد من القضايا الوطنية الفلسطينية في كتاباتها مثل قضية تعاون الرجل والمرأة لخدمة القضية الواحدة وهي «حب القدس وعشقها، وكل شيء يهون في سبيل بلوغ هذا الحب المقدسي، بحسب قولها على لسان نهاد وهي تخاطب داوود: فلسطين لن تكون لي ولك إلا إذا كنت معك [...] إذا أردنا هذه الأرض [...] لا بد أن نقاتل معا، نتألم معا [...] لنفرح معا»^(١٠)، سطور توضح مدى التعلق بالهوية فالقدس هو فلسطين وفلسطين هي القدس لا يمكن بتر أحدهما عن الآخر.

نماذج لروايات من فلسطين والجزائر استطعن التعبير عن هويتهم وعن انتمائهم مركزين على المرجعيات الثقافية وعلى التراث وعلى كل ما له علاقة بأوطانهم. وكان الحال بالنسبة للعديد من الكاتبات العربيات من مختلف القطر العربي فمن مصر نجد رواية «أوراق النرجس» للكاتبة سميرة رمضان، ومن السعودية رواية «الفردوس اليباب» لليلى الجهني، ومن السودان نجد «صهيل النهر» للكاتبة بثينة خضر مكي ومن الأمثلة يوجد الكثير.

٢- مقارنة الهوية العراقية في رواية طشاري و«الفتاة الأمريكية»

تقديم مقتضب للكاتبة وللروايتين:

الروايتان للكاتبة العراقية «إنعام كجه جي

الوطن الأم، لا يمكنني أن أتصور الوطن الخالة أو الوطن العمّة، أشد ما يثير سخريتي تعبير وطني الثاني [...] يمكن للعالم كله أن يكون وطنك [...] ينظر نحوي بإشفاق مسالم، كأنه يتابع بعينه قشة في مهل الريح تبحث عن شجرة تتعلق بها^(١٤). لتكتشف زينة بعد هذا الحوار مدى ذبذبة فكرة انتائها في محاولة لإثبات فكرة حتى هي لا تؤمن بها، هي دائما ما كانت تتساءل وكأنها تحل معضلة فلسفية: «هل أنا منافقة، أمريكية بوجهين؟ أم عراقية في سبات مؤجل»^(١٥).

زينة هذه الفتاة التي تشبعت في طفولتها بالثقافة العراقية حتى وإن غادرت العراق كانت تلك الفترة القصيرة التي عاشتها فيها كيفية بصنع مخزون من الذكريات هذه الأخيرة أخذت مساحة سرديّة كبيرة في النص.

هذه الذكريات كانت مليئة بالرموز الثقافية للهوية العراقية ففي سردها قصة تمكنها من اللغة العربية أرجعت ذلك إلى أبيها «عربيتي لا تشوبها شائبة... إنها اللغة التي انتقلت عدواها من أبي الآشوري [...] لأن المطاردة الشعرية كانت لعبتي المفضلة معه [...] يأتي بيت شعريّ ينتهي بحرف النون ويكون عليّ أن أردّ بيت يبدأ بالحرف نفسه»^(١٦)، سمة ثقافية ميزت العراق قبل الفتن وهي الهوية المشتركة رغم أنه آشوري لكنه أحب لغة الضاد لأنها كانت شيئا يربط العراقيين مع بعضهم.

تواصل الرواية طرح الثقافة العربية فأصدقاء زينة كانوا دليلا ورمزا يوحد بين الهوية العربية

تبدأ الحكاية من ذكريات طفولية تسردها فتاة بجنسية مزدوجة أمريكية وعراقية هاجرت عائلتها وهي صغيرة هروبا من ويلات الحرب، أصبحت الطفلة شابة وقررت أن تنضم إلى الجيش الأمريكي كمتريجة في أثناء الحرب الأمريكية على العراق، السبب الواضح لها أن المبلغ المالي المعروض كان الحافز الظاهر لديها بالإضافة إلى الأحداث التي أصابت أمريكا وهي أحداث الحادي عشر من سبتمبر «ما حدث لي في الحادي عشر من سبتمبر أصابني بمسّ كهربائي»^(١٧). ظنت أن هذا هو السبب الحقيقي لكن سرعان ما تجد الفضول الذي لطالما أصابها حول بلدها الأم والوسواس الذي ملأ رأسها حول مسألة انتائها هو ما جعلها تتقدم بلاوعي إلى هذه الوظيفة.

الأماكن والأحداث حقيقية في الرواية حيث تأخذ القارئ وترجعه إلى البحث في تلك الفترة فأحداث الحادي عشر من سبتمبر أدت إلى احتلال العراق مع أن أمريكا كانت قد قررت سلفا احتلال العراق «كان لابد أن تخلق سببا لشن الحرب، فوجدت ضالتها في بث الرعب في نفوس سكانها من امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، لتحصل على تأييد ممثلي شعبها»^(١٨)، صور النص السردى وقع ذلك على نفوس الكثيرين من عراقيين مغتربين وأمريكيين وعراقيين لم يغادروا هذا البلد بالمرّة بحيث عدت عليهم كل حروبها ومآسيها وحتى أفراحها، كانت لهم رؤية مخالفة لما يبثه الإعلام رأوا في أمريكا محتلا وطامعا مثلما هي شخصية مهممن ففي حوار دار بينه وبين زينة يقول «اسمك زينة [...] أما أنا فلا أعرف سوى

هنا يتضح دور الكبار في غرس الروح الوطنية لدى الصغار فحب الأب وتمسكه بلغته و حكايا الجدة كلها ساهمت في تحرك معنى الانتماء لوطن ما لدى زينة، أيضا شخصية مهيمن كان لها دور في توضيح الرؤية لدى زينة ففي رده عليها عندما طلبت منه أن يسافر إلى أمريكا قال «وماذا سأفعل هناك يا أختي العزيزة؟ هل أشتري تاكسيا وأعمل على خط ديلبورن-ديترويت؟ تذبطني السخرية السوداء التي تلازم العراقيين. كأنهم عاشوا ما فيه الكفاية حتى ما عادوا يرون حياة وراء الخراب»^(٢١)، تمسكه بوطنه اتضح في إجابته.

الهوية الوطنية العراقية تفوز في النهاية وسط محاولات لتشويه الغرب ومشاكل الطائفية والانقسامات التي تحاول حجب الهوية العراقية ليحل مكانها هويات فرعية وطائفية. بذلك تكون الكاتبة عرجت على الكثير من الأحداث وسردتها من منطلق شخصيات خيالية كانت نموذجا يحاكي الواقع الذي عاشه العراق وما زالت أثره إلى اليوم. فرغم المحاولات الكثيرة للتغيير يصعب ذلك الأمر فالجراح مفتوحة ولا تندمل هذه الجراح بسهولة فقد مزقت الوطن. وكنموذج تظهر شخصية طاووس في الرواية تحاول التغيير لكنها سرعان ما فشلت «راحت طاووس وتسجلت في صفوف محو الأمية للكبار. من يتغيب يوما يدفع خمسة دنانير جزاء، لا تسير إلا وهي تحمل جريدة الجمهورية تحت إبطها...» [تعلت طوال أشهر ثم ملّت وطارت الأحرف من رأسها. لكنها ظلت تشتري الجريدة. تقول إنها مفيدة لمن لا يقرأ. تحمي الرأس من الشمس. توضع على حافة الرصيف

رغم الاغتراب أغلبهم عرب «مجموعة الأصدقاء والصديقات اللبنانيين والعراقيين والفلسطينيين والسوريين الذين أزورهم»^(١٧). تلتقي عصابتي للعشاء في مطعم عربي، أول سبت من كل شهر. نتحدث ونضحك ونأكل التبولة والمجدرة والشاورما، ونرقص على إيقاع العود والطلبة»^(١٨). أطباق عربية وإيقاعات عربية في بلد غير عربي يعتبر هذا تمسكا بالهوية الوطنية فالثقافة تصنع الهوية. أنساق ثقافية أضمرتها الرواية فهي تعبر عن تقارب العرب في بلاد الغرب حتى وإن تفرقوا تبقى هويتهم وإن ظهر غير ذلك فمظاهر حياتهم دائما ما تعيدهم إلى هويتهم وانتمائهم.

التاريخ كان جلياً بين طيات الرواية شخصيات خيالية كانوا صورة تحاكي هذا التاريخ وهذه السطور تصف ذلك: «وتضخ عشرات المتقدمين كل يوم، عراقيون وعراقيات من مختلف المذاهب والأصول، بينهم المهاجر الجديد نسيباً، الذي وصل أمريكا آتياً من معسكر رفحة بعد حرب الكويت، أو المهاجر المعتق، أي الذي جاء في ستينيات القرن الماضي طلباً للرزق»^(١٩). أيضا ذكرت الرواية حرب العراق مع إيران وآثارها على ثلّة من الشعب العراقي الذي شارك فيها.

تواصل الرواية زينة سرد ذكريات الطفولة التي تعبر عن وطنها المتمثل في الحياة عند جدتها هذه الأخيرة كان الفضل لها في زرع بذرة الانتماء في نفس الفتاة المغتربة «يبدو أنها تسعى لطبخي على مهل، تغرف من خزان حكاياتها وتروي لي ما يسقي شجرة جذوري ويحرك أغصان انتمائي»^(٢٠)

عن وطنها لكن ذكريات هذا الوطن تراودها. ففي سطور الرواية نلاحظ الهوية العراقية بارزة فتيات الوطن تغطي، رموز ثقافية وأخرى دينية كلها تشاجبت لتعطي لمحات معبرة عن العراق، توزعت الأحداث آخذة من حقيبة التاريخ تسلسلها الزمني.

الأبطال المحورين في النص هم أم وابنتها وابنها، الأم محبة للبلد والابنة هجرته هربا من واقع مزري ومخيف والشخصية الثالثة ابن وُلد في غير بلده الأم يحاول فهم أصوله ليصنع لنفسه وطنا ينتمي إليه فهو ما دائما كان يشعر أنه بلا معالم في البلد المستضيف.

طرح النص السردى المختار الكثير من الأحداث الواقعية حيث تناول حقبا مختلفة مرّت على تاريخ العراق وصورته ذلك، ففي حديثها عن العراق قبل أن تجتاحها الفتن والحروب «الطالبات بأزياء عربية وكردية وأشورية برّاقة، دليل التأخي الوطني»^(٢٦). وضحت التأخي الذي كان عنوانا للعراق قبل موجة الصراعات حيث أصبح العراقي يقاوم المد الفكري الغربي بطرقه العصرية من خلال الإعلام وتطور التكنولوجيا فغدا المجتمع يعجز عن خلق هوية سليمة لا تشوبها الفتن والعنصرية والتقسيمات السياسية والطائفية.

نرصد كذلك الهوية الثقافية العراقية فالرواية مزجت العديد من المظاهر الثقافية التي تميزت بها العراق من لهجة وأطباق وألبسة، ففي حوار الأم المغتربة مع ابنها يسأل عن معنى طشاري:

للجلوس في انتظار الباص [...] من يعترض على حكمة طاووس؟^(٢٢)، لتنتهي قصة زينة بموت الجدة وقد كان آخر ما نطقت به «كنت أعرف أنك ستأتين. الدم يحن»^(٢٣).

تعود الفتاة أمريكية لكن هذه المرة بروح وطنية عراقية، وجدت نفسها تعيد كلمات والدها الذي كان يذكر العراق دائما وتمسك بكل ما له علاقة بوطنه:

« يتكلم عن العراق وكأنّه تركه محفوظا في علبة سر مهر. كيف يمكن للمرأة أن يشعر بكل هذا الحنين إلى وطن قسا عليه »^(٢٤).

لتنهي الرواية حكايتها بمقولة أبيها:

«لم أجلس معي هدايا ولا تذكارات. لا أحتاج لما يذكرني بها.

أقول مثل أبي: شلّت يميني إذا نسيتك يا بغداد.»^(٢٥)

تجليات الهوية الوطنية العراقية في « طشاري »

الشخصية المحورية هي طيبة عراقية عاشت في العراق جلت حياتها لكن سرعان ما تجد نفسها مغتربة في سن الثمانين، ضمت الرواية العديد من الشخصيات الثانوية، فأصوات شخصيات خيالية قد تتصادم معها أخرى واقعية عبرت الرواية العراقية عن تغير الوطن والظروف السيئة التي يمر بها حيث تُحدّث هذه الأخيرة ندبات وذكريات يصعب على الأفراد نسيانها، الوطن في هذه الرواية كان غصة في قلب شخصيات تغربت

يرسمون خرائط المنطقة»^(٣٠). أرجعت الكاتبة السرد إلى تاريخ طويل بدأ باحتلال غير مباشر ووصل إلى وسيلة ذكية وهي «الوسيلة السياسية التي مهدت الطريق لاستعمار العراق [...] وهي شراء الأحزاب والقوى السياسية والعسكرية الموالية للغرب وتقويتها في مواجهة القوى الوطنية»^(٣١)، لازل ساريا هذا الفكر إلى يومنا هذا فالغرب يدخل ليدعم الطوائف، يلقي الفتنة بينها ليجد له مكانا ومنتسعا ليعثوا فيه فسادا تارة لمصلحة مادية وتارة أخرى لميول فكرية متطرفة لكي يفرض هيمنتته على الدول.

ففي العراق حيث كانت هناك «الأصالة الإنسانية والحضارية التي امتدت عبر العصور المختلفة... حيث شكلت الكوفة أكبر مدينة سياسة بعد المدينة المنورة»^(٣٢)، حاولت الرواية في النص السردى المزج بين ماضي العراق وحاضره فالشخصيات على لسانها طرحت الكثير من الأمور التي مسّت العراق بالإضافة إلى الرموز الثقافية:

« تقول له أمه:

إنها الدكتوراة التي ملصتكم من بطني.

ويفهم أنهم يسمون التوليد ملصا، ويتخرجون فيصفون المكان الذي ينزل منه الطفل بالطن»^(٣٣).

كليات وانزياحات لغوية توضح الثقافة اللغوية الممزوجة بين اللغة والسياق فالحياة كان ميزة متجدرة حتى أنه أدخل في اللغة.

تَشَطروا مثل طلبة بندقية التي تتوزع في كل الاتجاهات.

ماما، هل تكتبين أشعارا عن الأسلحة والرصاص؟

إنهم أهلي الذين تفرقوا في بلاد العالم مثل الطلق الطشاري»^(٣٧).

في شق آخر طرحت الكاتبة على لسان شخصية حب الطن فيما مضى والحب الآن حيث كان التعليم يعلم حب الوطن قبل كل شيء وبعيدا كل البعد عن البغض والكراهية والتعصب وفكرة الطائفة أحسن من طائفة:

« في الثانوية تعرّفت وردية إلى معاني حب الوطن. وكان في صفّها أربع طالبات مسلمات واثنتان مسيحيّتان وسبع عشرة يهودية»^(٣٨) ٧١.

تأتي زميلاتنا المسلمات واليهوديات لمعايدتها في عيد القيام، يجلسن في غرفة الخطار مثل الكبار، يشربن الشاي ويأكلن الكليجة»^(٣٩) الكليجة طبق تميز به المطبخ العراقي.

كما عبّرت عن الانتماء الذي كان يوحد العراق فيما بينها رغم وجود الاختلاف الثقافي والتنوع الكبير في التركيبة الاجتماعية فيها، ومثال ذلك شخصية سليمان حيث: «عشق اللغة منذ يفاعته، كان يرى في امتلاكه لخاصيتها تأكيدا لانتمائه، وهو السرياني، إلى الهوية الوطنية في دولة تأسست وهو دون العاشرة، لقد ولد في الموصل مع أولى سنوات الحرب [...] جلس مندوبون إنكليز وفرنسيون

الخاتمة:

نجح الخطاب النسوي العربي في التطرق للعديد من المواضيع فبعد أن تجاوز فكرة التفرقة بين الرجل والمرأة، وجدت المرأة العربية تدخل في مجالات عديدة كما دخلت عالم الكتابة الأدبية، واستخدمت قلمها مقدمة نصوصا تطرح مواضيع الحياة المختلفة ومن بين ذلك عملها على تعزيز الهوية الوطنية في نصوصها في ظل الحروب والأحوال السيئة التي تعيشها أوطانها.

كان حال بالنسبة للروائية العراقية إنعام كجح جي فهي ملأت محتوى أعمالها بالرموز الثقافية التي تمثل لعراق ففي الفتاة الأمريكية قدمت حينئذ المغتربين إلى أوطانهم وتمسكهم بجذورهم رغم هجرهم للوطن يبقى الوطن داخلهم متمثلاً، فهو يظهر في عاداتهم اليومية في لغتهم، النموذج من الرواية لكنه يمثل الواقع فأغلب الجالية العراقية بالخارج تتكلم اللغة العربية معروف ذلك عنهم. صورت الروائية ذلك بوضوح في النموذجيين المختارين: "الفتاة الأمريكية" "طشاري".

نموذجان يعبران عن الكيفية التي يبحث بها الإنسان عن هويته في ظل الصراعات والحروب، بشخصيات خيالية وأماكن حقيقية وأحداث مأخوذة من حقيقية تاريخ العراق، عبرت الروائية إنعام عن حال من يترك وطنه وعمن يلازمه إلى آخر رمق، الحال مشترك يبقى الوطن فوق أي شيء، فهو يبقى في نفس الإنسان وداخله وإن غادر الجسد ذلك الوطن تبقى الثقافة المغروسة والمتجذرة كما يبقى الانتماء للوطن أمراً لا يمكن التخلي عنه.

تواصل أحداث الرواية فعلى لسان الساردين وتنوعهم يقدم الوطن، فالنسبة لوردية التي ترعرعت وتربت في العراق عرفته على أنه الانتماء والهوية رفضت الهجرة لغيره لكن الواقع حال دون ذلك ففي النهاية هاجرت لكن فكرة الانتماء لم تفارقها بل حلت مكانها مجموعة ذكريات «تراكم السنوات وتمضغ من تختار من الأجابة... ووردية تتسابق مع عمرها لكي تسترجع ما فات... أسماء وروائح ومذاقات وأغاني وقهقهات ونوبات غضب وأوجاع وابتهالات»^(٣٤)، فكل شخصية قدمت الوطن بطريقتها فشخصية سهيلة رأت أنه مكان لقتل لان ابنها قتل فيه. الرؤى تعددت مع كل شخصية، لكن الثابت أن الحنين للوطن باق ولا مفر منه. والختام كان كالتالي: "بلد فدّ ضربته لعنة الفرقة فمسخته وحشا، تصلي له فلا تستجيب السماء، سماؤها الطيبة الحنون التي لم ترد لها يوماً طلباً.

أم يشبعون من الدم؟»^(٣٥).

كانت هذه الكلمات آخر ما قدمته الرواية على لسان وردية وهي في نهاية حياتها بعد فصل طويل عاصرت فيه كل ما مرّ به عراقها الأصيل.

- ١٠ - المرجع نفسه، ص ٢٣.
- ١١ - عبد الزهرة عمارة: الموجز في الرواية العراقية الحديثة ٢٠٠٠ - ٢٠١٧، عمارة برنس للطباعة والنشر - العراق، ٢٠١٧، ص ٢٥.
- ١٢ - إنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، الجديد، ط ٣، بيروت - لبنان، ٢٠١٠، ص ١٩.
- ١٣ - جعفر بهلول جابر الحسيناوي، الأبعاد السياسية والاقتصادية للاحتلال الأمريكي للعراق وانعكاساتها على دول الجوار، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة النهدين ٢٠١٣، ص ٥١.
- ١٤ - إنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص ١٤٤.
- ١٥ - المرجع نفسه، ص ٢٣.
- ١٦ - المرجع نفسه، ص ٢٠-٢١.
- ١٧ - المرجع نفسه، ص ٢٢.
- ١٨ - المرجع نفسه، ص ٢٣.
- ١٩ - إنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص ٢٥-٢٦.
- ٢٠ - المرجع نفسه، ص ٥٣.
- ٢١ - المرجع نفسه، ص ١٤٧.
- ٢٢ - المرجع نفسه، ص ١٦٢.
- ٢٣ - المرجع نفسه، ص ٨٩.
- ٢٤ - إنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، ص ١٦٥.
- ٢٥ - المرجع نفسه، ص ١٩٠.
- ٢٦ - إنعام كجه جي، طشاري، صفحة كتب، المكتبة الإلكترونية، نسخة معدلة، ص ١٠٧.
- ٢٧ - إنعام كجه جي، طشاري، ص ٩٠.
- ٢٨ - المرجع نفسه، ص ٧١.

نجحت الروائية في التعبير عن العراق بكل حالاتها فمن يقرأ الروائيتين يمر على قصص كثيرة عاصرها العراق، صحيح أن الشخصيات خيالية لكن الأحداث حقيقية تجعل القارئ يبحث عن كل ما يتعلق بالعراق، وكأن الروائيتين شريط مصور يعرض صوراً من العراق ويقدم الثقافة العراقية.

الهوامش

- ١ - محمد سبيلا، خطاب الهوية، ندوة علمية، بعنوان الهوية والتقدم، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، أبريل ١٩٩٣، ص ٤٣.
- ٢ - منير غسان وآخرون، الهوية الوطنية والمجتمع العلمي والإعلام، (دراسات في إجراءات تشكل الهوية في ظل الهيمنة الإعلامية)، دار النهضة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٧٦.
- ٣ - محمد سبيلا، خطاب الهوية، ص ١٤.
- ٤ - سفير بدرية، أبعاد الهوية في الرواية الجزائرية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي نموذجاً، مجلة الآداب واللغات، العدد ٢٣/ جوان ٢٠١٦، ص ٥٢.
- ٥ - أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط ١٥٠، ٢٠٠٠، ص ١١.
- ٦ - أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص ٧٩.
- ٧ - المرجع نفسه، ص ٢٤٤.
- ٨ - سفير بدرية: أبعاد الهوية في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص ٥٥.
- ٩ - حنان عيسى: الرد بالكتابة في الرواية الفلسطينية النسوية، مجلة تبين، العدد ٤٠، المجلد ١٠، ٢٠٢٢، ص ١٧.

- ٢٩ - المرجع نفسه، ص ٧١.
- ٣٠ - المرجع نفسه، ص ٦٣-٦٤.
- ٣١ - مؤسسة الدراسات الإسلامية: العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل، بيروت، ص ٤١.
- ٣٢ - إنعام كجه جي، طشاري، ص ٠٦.
- ٣٣ - المرجع نفسه، ص ٤٥.
- ٣٤ - المرجع نفسه، ص ١١٧.
- ٣٥ - المرجع نفسه، ص ٢٥١.
- الجزائرية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي نموذجاً، مجلة الآداب واللغات، العدد ٢٣ / جوان ٢٠١٦.
- عبد الزهرة عمارة: الموجز في الرواية العراقية الحديثة ٢٠٠٠ - ٢٠١٧، عمارة برنس للطباعة والنشر - العراق، -، ٢٠١٧.
- محمد سبيلا، خطاب الهوية، ندوة علمية، بعنوان الهوية والتقدم، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، تونس، أبريل ١٩٩٣.

قائمة المصادر والمراجع

- أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٠.
- إنعام كجه جي: الحفيدة الأمريكية، الجديد، ط ٣، بيروت-لبنان-، ٢٠١٠.
- إنعام كجه جي، طشاري، صفحة كتب، المكتبة الإلكترونية، نسخة معدلة.
- جعفر بهلول جابر الحسيناوي، الأبعاد السياسية والاقتصادية للاحتلال الأمريكي للعراق وانعكاساتها على دول الجوار، مذكرة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة النهريين ٢٠١٣.
- حنان عيسى: الرد بالكتابة في الرواية الفلسطينية النسوية، مجلة تبئُن، العدد ٤٠، المجلد ١٠، ٢٠٢٢.
- سفير بدرية، أبجديات الهوية في الرواية
- منير غسان وآخرون، الهوية الوطنية والمجتمع العلمي والإعلام (دراسات في إجراءات تشكل الهوية في ظل الهيمنة الإعلامية)، -دار النهضة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢.
- مؤسسة الدراسات الإسلامية: العراق بين الماضي والحاضر والمستقبل، بيروت.

The Arab Feminist Narrative Discourse Between Global Feminist Thought and National Identity: Inaam Kachachi in *The American Granddaughter* and *Tashari* as a Model

Khedidja Baghdadi

Abstract:

The feminist discourse has gone through multiple stages of historical development. Initially, it aimed to improve women's conditions and liberate them from social constraints. In contemporary times, however, it has introduced new ideas and perspectives that have empowered women to contribute across diverse fields. Women have entered various intellectual and creative realms, gaining a strong voice, first and foremost in defending their identity. This movement has evolved to include a broader contribution to national issues, each woman expressing herself in her own way. In literary works, feminist writings, as described by Iraqi critic Nazik Al-Argaji, have celebrated and expressed love for the homeland, using writing as a weapon to convey identity, nationalism, and Arab heritage.

To explore this topic, we have chosen two novels by the Iraqi author Inaam Kachachi: *The American Granddaughter* and *Tashari*. Our choice stems from the deep emotions and strong sense of belonging reflected in these novels, as they portray the suffering of the homeland and the author's commitment to it. Kachachi seeks to represent different factions of society, transcending the divisions imposed by current realities. She uses imagination as a tool to give a voice to marginalized groups and ordinary people, steering away from political or religious biases and instead focusing on the motherland as a shared bond uniting everyone.

This research aims to answer the following questions:

How have Arab feminist novels addressed the issue of awareness of national identity? How is this theme reflected in Inaam Kachachi's novels *The*

American Granddaughter and Tashari? Has Inaam Kachachi succeeded in presenting and reinforcing the theme of identity in these selected works?

Keywords: national identity, narrative discourse, feminist writing, Inaam Kachachi, The American Granddaughter, Tashari.